الاصلاحات العثمانية واثرها على حركة النهضة العربية دراسة تاريخية

م.د. اياد جاسم محمد احمد

المديرية العامة لتربية بغداد الكرخ/1- وزارة التربية

الكلمات المفتاحية: الاصلاحات. العثمانية. البلاد العربية

الملخص:

عندما تكتب عن موضوع يخص العثمانيون – علينا أن نعلم بأن بداية التاريخ الحديث يبدأ عند التوسع العثماني في البلاد العربية، وذلك في بداية القرن السادس عشر وعندما نتكلم عن اصلاحات في الدولة العثمانية علينا معرفه ان الدولة العثمانية كانت في أوج قوتها في القرن السادس عشر في جميع الولايات التي تسيطر عليها الا انها ضعفت في القرن الثامنة عشر فلقد قبل عرب المشرق الحكم العثماني عن طيب خاطر في بداية الأمر فلما ضعفت الدولة العثمانية نمت على حسابها قوه العصبيات المحلية والاسواق الحاكمة واستبدت بأمور الولايات العثمانية، فملات هذه العصبيات الحاكمة القرنين السابع عشر والثامن عشر بالأحداث الازمات المحلية والخارجية .

لقد بذلت الدولة العثمانية جهوداً كبيره من أجل إعادة وحده الدوله تحت حكم مركزي واضح بالقضاء على تلك العصبيات الحاكمة. وكما قام الباب العالي بجهود ضخمه من اجل اعاده تنظيم الدولة على اسس حديثه بادخال النظم الغربية الادارية والاقتصادية والاجتماعية في مختلف مرافق الدولة، ولكن تعرضت هذه الجهود والاتجاهات إلى نكسات عديدة خلفها قوى الرجعية في الدولة العثمانية كما ان الدول الكبرى التي كانت تتشدق بأنها تعمل على الاخذ بيد الدولة العثمانية لتأخذ مكانها اللائق بين الدول المتحضرة كانت في الحقيقة لا تسمح بادخال أيه اصلاحات الا اذا كانت هذا الاصلاحات متماشيه مع اهدافها الاستعمارية في ولايات الدولة العثمانية .

ولقد ساعدت هذه التناقضات على ظهور عدة فلسفات اصلاحية في النصف الثاني من القرن العشرين في الدولة العثمانية بعضها دعا إلى الجامعة الاسلاميه، وبعضها تعلق بالافكار القومية الطورانيه. وتحت عوامل عدم الثقة بين المسلمين والمسيحين، كما بدأت بوادر الأزمة بين العرب

والاتراك القومين حتى تبلور في الصدام الكبير بين الحركة العربية وجمعية الاتحاد والترقي التركية الحاكمة في الاستانة.

حركة الاصلاح والتجديد

اولاً : الاصلاحات في الشؤون الفكرية

أن حركة الاصلاح والتجديد في الدوله العثمانية بدأت في أواسط القرن الثامن عشر اقتبست هذه الاصلاحات من النظم الغربية في الوقت الذي كانت فيه الدوله الغربيه تندفع في سبيل النهضة الشاملة. وعندها بدأ رجال الدولة يشعرون بوجوب اصلاح احوالها. في حين كانت الحضارة الأوربيه ازدهرت كثيراً. عند ذلك شعر رجال الاصلاح في الدولة العثمانية بوجوب الاقتداء بتلك الدول . ومن هنا اخذو التفكير في الإصلاح وبدأ الاصلاح في المجال العسكري. أي ان حركات الاقتباس والاصلاح بدأت في الشؤون العسكرية- أن تقدم الاصلاحات العسكرية على سائر الاصلاحات كان سببه – الأمور التالية.

1 – ان الدولة العثمانية كانت دوله عسكريه فشؤون الجيش فيها كانت المحور الاساسي لجميع شؤونها. وفساد أمرها بدأ بفسادد جيشها. فكان من الطبيعي أن يبدأ اصلاح امورها بأصلاح جيشها [1].

٢ – ان تفوق النظم الأوربيه في شؤون الجيش كان يظهر إلى العيان بأثاره المادية وكان التفوق في سلاح المدفعية الذي كات. يؤثر على الجيش العثماني وأن محاولات واجراءات اصلاح الجيش بدأت في عهد السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧ – ١٧٧٤) وتطورت اكثر عن ذلك في عهد السلطان عبد الحميد الاول (١٧٧٤ – ١٧٨٩) ودخلت في طور التنفيذ الفعال في عهد السلطان تسليم الثالث (١٧٨٩ – ١٨٠٧) .

بدأ اصلاح الجيش في عهد السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧-١٧٧٤) تنظيم أمور البحرية والمدفعية على اساس الاستفادة من الاصول والأسلحة الأوربية في هذه الميدان . وبعد ذلك تم تطوير صنوف الجيش الآخرى ، مثل صنف المشاه تم ادخال التعليم العسكري الى هذه الصنوف – الا أن هذه الخطوه في اصلاح واجهه عقبات كبيره من جراء اوضاع الانكشارية ومقاومتهم لكل تغيير إصلاحي . أنهم كانوا ضد فكره (التعلم العسكري) وكانوا يتكرون فائدته[2].

كان يزعمون ان بركه الولي ودعائه يغنيهم عن كل تعليم ويقولون أن بركه ولي الله الحاج يكتاش كان بارك جماعة الانكشارية عند تأسيسها ودعا لهم بالنصر الدائم وعندما اعتلى عرش السلطة

السلطان سليم الثالث سنه ١٧٨٩ كرس جهوده في مجال الإصلاح وعندما لاحظ صعوبه اصلاح الانكشارية والى ان يتركبهم جنباً ونشأ جيشاً جديداً ينظم اليه من يرغب وسماه بـ (النظام الجديد) واهتم به اهتمام كبيراً واستخدم له عدد كبير من الضباط والخبراء الأوربية وأنشأ له تكانات خاصة، وكذلك صندوقاً خاصاً لضمان حاجته الماليه، وكذلك شجع جميع الولاة ليس فقط في عاصمة السلطة ان يهتموا بهذا النظام الجديد على اساس (التعليم العسكري) وقد قام بعض الولاة باعمال بارزه في هذا المجال ويذكر ان والي بغداد سليمان باشا الكبير استقدم ضابطاً انكليزي عن الهند وعهد اليه بتعلم وتنظم الجيش الجديد. ويذكر ان المؤرخون أن مجموع افراد جيش النظام الجديد بلغ في عهد السلطان سليم الثالث ٦٠٠٠٠ فرداً .

بدأت تظهر كفاءة الجيش (النظام الجديد) الذي أنعم بالتعليم العسكري وتفوقه على سائر الجيوش التي لم ينعم بالتعلم العسكري وقد ظهر من خلال الحركات العسكرية التي جرت في مصر لمحارية الفرنسيين خلال الدفاع عن قلعه عكا التي اضطرت نابليون الى التراجع عنها. وقد اظهرت النجاحات الفائقه التي حققتها جيش النظام الجديد . الى المعارضين لهذا النظام أن يؤمنوا به ويؤيده عند تحقيقه هذه الانتصارات [1] .

بعد القضاء على الانكشارية. صارت الدوله العثمانية بعد ذلك تهتم اهتماماً كبيراً في تطوير الجيش الجديد وذلك من خلال الأمور الاتية :

1- وضع الدوله قوانين تنظم الخدمة المكلفية، وتحديد مراحلها. ووضع شروط الاعفاء عنها

٢ - انشاء المصانع العسكرية المتنوعه لتمويل الجيش من ذخائر .

3- انشاء المدارس العسكرية الازمة لتنشيط الضباط الصغار والكبار، لمختلف صنوف الاسلحه.

4- الاستعانه بجماعات من الضباط والخبراء الأوربين في تطوير و تدريب أولئك الضباط وكذلك نرى أن الضباط الالمام كان لهم نصيب كبير في خدمة الدولة العثمانية من خلال تدريب والتعليم ومن هؤلاء الضباط ((مولتكه)) وان ((مولانكه)) يعتبر من كبار الضباط وهو يعتبر من المؤسسين للامبراطورية الألمانية مع سمارك وانا ليمان فون ساندرس. كان رئيس البعثة الفكرية الألمانية التي تولت تنظيم الجيش العثماني[2]. وتستطيع القول بأن الجيش في الدوله العثمانيه حظى بأكبر نصيب من العناية والاصلاح والتنظيم.

المدارس العسكرية

أن فوائد الاصلاحات والتنظيمات العسكرية لم تنحصر في شؤون الجيش، وحدها بل تعدت ذلك الى شؤون التعليم والثقافه بوجه عام. أن العلوم العصريه على مختلف انواعها دخلت عن طريق المدارس العسكرية. وكانت جميع المؤلفات من العلوم الرياضية والطبيعية والتاريخ والجغرافية تنحصر في المدارس العسكرية وانشأت هذه المدارس قبل المدارس الملكية بمدة طويله فأنشات فيما بعد مدارس الفنون البحرية والهندسة الملكيه انشئت في أواخر القرن الثامن عشر. ولكن مدارس الحقوق والاداره والتجارة والزراعة . لم تنشأ الآ في أواخر القرن التاسع عشر وكذلك تعليم الطب الحديث بدأ في مدرسة الطبية العسكرية – التي انشئت لتخريج الاطباء والصيادلة والخبراء الذين يحتاج اليهم الجيش العثماني. وانشات ما بعد (مدارس ثانوية عسكرية) والمدرسة الرشدية العسكرية كانت المدارس العالية العسكرية لها أهمية وفوائد كثيره في جذب العناصر اليها من الطلبه وذلك لمجانية التعليم فيها وتوفير السكن اللازم. وأن الحكومه كانت تتعهد بجميع نفقات الطلاب [1]

ثانياً : الاصلاحات في النظم الاداريه

بدأت هذه الاصلاحات في عهد السلطان عبد المجيد (١٨٢٩ – ١٨٦١) وتمت هذه الاصلاحات في مرحلتين اساستين :

أ – المرحله الاولى عرفت باسم (التنظيمات) وبدأت سنه ١٨٢٩ كما استمرت طوال عهد السلطان عبد المجيد وعهد عبد العزيز (١٨٦١ – ١٨٧٦م) وقد عرفت بهذا الأسم لأنها امتازت بتنظيم أمور الدوله على اسس جديده . في جميع الميادين الادارية والمالية والقضائية– والتعليمية

ب – واما المرحله الثانية فقد عرفت باسم المشروطيه . وبدأت في عهد السلطات عبد الحميد الثاني (1876–1909) سميت بهذا الأسم لانها حاولت أت تقضي على نظام (الحكم المطلق) الذي كان قائماً في ذلك الوقت، وان تجعل حكم السلطات مشروطاً بمراعاه القيود في القانون الاساسي ويتبين في ذلك أن رجال التشريع في الدولة العثمانية– استعملوا تعبير (المشروطيه) للدلالة على (النظام الدستوري) و(الحياة الدستورية) [1].

" التنظيمات "

تستند التنظيمات الى مرسومين سلطانين اساسيين صدر المرسوم الاول سنه ١٨٣٩ وعرف باسم (منشور الكلخانه) وصدر الثاني سنة ١٨٥٦ وعرف باسم منشور التنظيمات الخيرية. واهم زعماء رجال التنظيمات هم. رشيد باشا – عالي باشا. وفوائد باشا .

1 – منشور الكلخانه :.

صدر هذا الخط (الهمايوني) اي السلطاني في بداية عهد السلطان عبد المجيد سنة ١٨٢٩ في قصر ال ((كلخانة)، ولذلك عرف بهذا الاسم .

وكان يقضي بإصدار قوانين جديده لتثبيت التكاليف المالية. وتحديد مده الخدمة العسكرية والحقوق التي يقررها هذا المنشور ((امنيه الروح والعرض و المال)) جاء هذا المرسوم للحفاظ على ارواح الناس من القتل والاعدام الذي كان يمارس بأمر من السلطات وكذلك الولاه والمتنفذين بدون محاكم وكان من الامور المألوفه[2] .

ثم قرر المرسوم تثبيت الضرائب والتكاليف العالية. كان هذا الخط 0 يقوم بتنظيم شؤون الدوله

٢– منشور التنظيمات:– صدر هذا المرسوم ١٨٥٦ في عهد السلطان عبد المجيد وكان ينص على ((معامله جميع تبعية الدوله معامله مساويه)) مهما كانت اديانهم ومذاهبهم. كما انه قرر تنظيم أمور الدوله بوجه عام با اصدار قوانين جديده .

قوانين التنظيمات

أن القوانين التي حددت كانت تهدف إلى تنظيم أمور الدوله وفقا للنظم الأوربيه فتم اصدار عدد من القوانين منها .

1– قانون الولايات:– الذي وضع حداً للاقطاعات القديمه وحدد صلاحيات كل من الولاه والمتصرفين والقائمقامين. واقتبس كثير من احكامه من النظم الفرنسية وعين لكل موظف راتبا يتلقاه من خزينه الدولة.

وكذلك تم أحداث محاكم نظاميه تعمل بجانب المحاكم الشرعية القديمة بموجب قوانين جديده وتم تنظيم و اصلاح شؤون المحاكم الشرعية. وكذلك وضعوا الانظمه اللازمه لاصلاح شؤون المحاكم الشرعية . كما وضعوا قوانين جديده لمختلف شؤون الدوله من ادارية ومالية الى عدليه وتعلمية بقصد جعلها دولة عصريه[1] .

البلاد العربية في عهد التنظيمات

اذا استعرضنا احوال البلاد العربيه في عهد التنظيمات نلاحظ الآتي.

1 – ان التنظيمات الادارية والتشريعية التي ذكرناها انفاً حدثت . بعد انفصال مصر عن الدولة العثمانية في الشؤون الداخلية. وذلك بدأت احوال مصر تختلف عن سائر احوال الولايات العربية من الوجوه الادارية والتشريعية .

٢ – أن اصول التنظيمات الجديدة لم تطبق في جميع الولايات العربية في درجه واحده من السرعة والشمول – سوريا وبيروت و حلب – كانت أولى الولايات التي طبقت فيها بشمول

٣ – أن التنظيمات حاربت الفوضى الناتجه عن نظام الاقطاع وحددت سلطات الولاه الا انها اقتبست النظم الافرنسيه وغالت في المركزية ما نتقلت من الافراط إلى التفريط أن الافراط في المركزيه أخر في البلاد العربية ضرراً بليغاً .[2]

وتلاحظ ان مدحت باشا – أبو الدستور وبطله– كان تولى ولايه بغداد ثم بعد مده – ولايه سوريا . ولاحظ خلال ولايته الاضرار الناجمة عن هذه المركزية المفرطة، وطالب بالاقلاع عن هذا النظام إلى نوع الامركزيه .

4– أن التنظيمات زادت ترابط الجماعات المسيحية . بسبب تنظيم شؤون البطريحيات والاسقيفات، وتكوين المجالس الجسمانية والروحانيه – هذه الأوضاع عودت منتسبي الطوائف المسيحية (العمل المشترك) في المؤسسات الدينية والخيرية والتعليمية اما المسلمون فلم يكن لديهم امثال هذه التشكيلات. فكانت أمورهم كلها موكوله للدوله .

هـ – أن التنظيمات لم تغيير تغييراً يذكر مواقف كل المسيحين والمسلمين في البلاد العربيه نحو الدوله العثمانية. ضل المسلمون يشعرون أن الدوله دولتهم ويستلمون لحكمها. لكونها دوله الخلافه الاسلامية وضل المسيحون يشعرون بأنهم غرباء عنها لأنها تعتبرهم رعايا. ويتوجهون نحو الدوله الأوربيه . لأنها تحميهم في كثير من المناسبات حتى انها تقدم لهم المساعدات فكان على فكره القومية العربية أن تتغلب على هذين الأتجاهين في وقت واحد . كان عليها أن تحول أنظار المسلمين عن الدولة العثمانية وانظار المسيحين عن الدوله الأوربيه

٦– أن تعليم الادب العربي واللغه العربية في المدارس الاجنبية وجد اهتماماً كبيراً. فأ انتشر تعليم الأدب العربي بين المسيحين اكثر من انتشاره بين المسلمين . لأن العرب المسلمين لم يؤسسوا مدارس خاصه بهم ،بل ظلوا يرسلون اولادهم إلى المدارس الحكومية – اذا أراد وتعليمهم – ، ولغه التعليم في المدارس الحكوميه كانت اللغة التركية[1]

أهم المراسيم التي أصدرها السلطان عبد الجيد الأول

اصدر السلطان عبد المجيد الاول مرسوم ١٨٥٦ الذي اكد فيه على حقوق الرعايا غير المسلمين وأصدر خط الهمايوني ويتضمن مايلي .

1– الغاء نظام الالتزام والقضاء على الرشوة والفساد .

2- المساواة بين التجنيد بين المسلمين وغير المسلمين

3- معامله جميع رعايا الدولة معاملة متساويه مهما كانت اديانهم او مذاهبهم.

4- المحافظة على الحقوق والامتيازات التي تمتع بها رؤساء الملوك غير الاسلامية

5- فتح معاهد التعليم امام المسيحين لفتح أمامهم وظائف الدوله

٦- السماح للاجانب الامتلاك الأراضي في الدولة

ان السلطان عبد المجيد أول سلطان عثماني يعطي على حركة تغريب الدولة العثمانية صفه الرسميه . وأمر بإصدار فرماني التنظميات عام (١٨٥٤- ١٨٥٦م) [1] .

وبها بدأ في الدولة العثمانية ماسمي بعهد التنظيمات – وهو اصلاح شؤون الدوله وفق المنهج الغربي.

لقد كانت المعالم الرئيسية الحركة الاصلاح والتجديد العثمانية تدور حول ثلاث نقاط هي :

1- الاقتباس من الغرب فما يتعلق بتنظيم الجيش وتسليحة في نظم الحاكم .

2- الاتجاه بالمجتمع العثماني نحو التشكيل العلماني .

3- الاتجاه نحو مركزيه السلطة في اسطنبول والولايات [2] .

(حركة الاصلاح في الدولة العثمانية واثرها على حركة النهضة العربية)

بذات الحكومة العثمانية جهوداً من أجل إعادة وحد الدوله تحت حكم مركزي واضح بالقضاء على العصبات الحاكمة ولقد نجحت في بعض الولايات أعادة الحكم المباشر وحددت الحكومة العثمانية قبضتها على الشام والحجاز ، كما قام الباب العالي بجهود ضخمه من أجل اعادة التنظيم للدوله على اسس حديثه بادخال النظم الغربية الاداريه والاقتصادية والاجتماعية في مختلف مرافق الدولة. تعرضت هذه الجهود والاتجاهات الى نكسات وازمات عديده خلقتها القوى الرجعية في الدولة العثمانية. كما أن الدول الكبرى التي كانت تعمل على الاخذ بيد الدوله العثمانية لتأخذ مكانها اللائق بين الدول المتحضرة – كانت لا تسمح بادخال آيه اصلاحات الا اذا كانت هذه الإصلاحات متماشيه مع أهدافها الاستعمارية في ولايات الدوله العثمانية .

ولقد ساعدت هذه التناقضات على ظهور عدة فلسفات اصلاحيه في النصف الثاني من القرن العشرين في الدولة العثمانية- بعضها دعا الى الجامعه الاسلامية. وبعضها تعلق بالافكار القوميه الطورانيه. وتمت عوامل عدم الثقة بين المسلمين والمسيحين. كما بدأت بوادر الازمة بين العرب (مسلمين ومسيحين) والاتراك القوميين حتى تبلور كل هذا في الصدام الكبير بين الحركه العربيه

وجمعيه (الاتحاد والترقي) التركية الحاكمة في الاستانه وترتب على ذلك وقوع الثورة العربية الكبرى خلال الحرب العالمية الأولى. تلك الحرب التي بدأت وكان العرب يحاربون بجانب فرنسا وانكلترا سعياً وراء الحرية الاستقلال فاذا بهم يجدون انفسهم بعد انتهاء الحرب غنيمه حرب يقتنمها الانكليز والفرنسيين.

لقد بدأ واضحاً أن الدولة العثمانية، وولاياتها لم تعد على مستوى العصر وانها اصبحت مهدده بتكرار الغزوات. على نمط الحملة الفرنسية. ولعدم قدرة امكانيات الدولة العثمانية وحدها، على التصدي لتلك الحملات، ولذلك شرعت الحكومة العثمانية في العمل على الإصلاحات العديدة منها.

القضاء على الاسرات الحاكمة المحلية في مختلف ولاياتها ، والقضاء على الحركات المناهضة للعثمانيين وعلى وجه الخصوص حركة الموحدين التي تنكر على السلطان العثماني حقه ان يحكم وفي ان يحتكر الخلافه وأن الموحدين في سيطرتهم على الحجاز سلب من السلطان العثماني اقوى مظهر من مظاهر الخلافة وهو حماية الأراضي المقدسة الاسلامية في مكه والمدينه واذ كان لقب ((حامي حمى الحرميين الشريفين))اعز القاب الخليفة العثماني. كان السلطان العثماني يعتقد ان سبب ضعف الدولة العثمانية امام الغزو الأوربي بسبب. تفكك الدوله الى ولايات شبه مستقلة ورأى ان الصلاح هو اعاده تقويه قبظه الحكومة العثمانية على هذه الولايات، بالقضاء على العصابات الحاكمة وبالقضاء على الحكام الذين أغتصبوا – من جه نظر العثمانين الحكم منهم. امثال محمد علي في مصر. والمماليك في العراق وخاصه داود باشا هناك وغيرهم من حكام الولايات

المبحث الثاني: الصراع بين الولايات والدول العثمانية

واما حكام الولايات يعتقدون ان الدولة العثمانية شاخت وضعفت وان مراكز القوى أنتقلت عنها إلى الولايات وان هذه الولايات هي اعرف بالدفاع عن نفسها و اصلاح شأنها ولهذا دار صراع طويل بين اقوى الولايات (مصر) والسلطنة العثمانية وكشف هذا الصراع عن اهميه الوطن العربي لمصر وعن اهميه مصر للوطن العربي وانتهى هذا الصراع بتسوية(١٨٤٠–١٨٤١م) وبحصولها على نوع متقدم من الحكام الذاتي. واعادة بقيت الولايات إلى الحكم العثماني المباشر ... كما قويت في نفس الوقت التيارات الاستعمارية الخطيرة مهدده بعض الاجزاء المتطرفه من البلاد العربيه العثمانية . كانت بلاد الشام بعد انسحاب المصريين منه في عام ١٨٤٠م هدفاً

مروعاً للمؤامرات الدولية التي بدأت فيس لبنان بأنشاء القائمقامين ثم قوع الحوادث الطائفيه بسبب التدخلات الاجنبية وظهور نظام المتصرفيه بعد حوادث ١٨٦٠ الدموية

اما في دمشق وحلب فقد قامت نهضه عربيه وكذلك في لبنان كان لها اثرها في الحركة التحررية في الوطن العربي .

وعندما شعرت الحكومة العثمانية بأنها متخلفه عن باقي الدول الأوربيه بل وعن تابعتها (مصر) عملت بالاسراع على تجديد نفسها لعلها تستطيع التصدي للتدخل الأوربي في أمورها ولعلها تعيد قبضتها على جميع اجزاء الامبراطورية العثمانية، وكانت الاصلاحات التي قامت بها الحكومة العثمانية. في مجال العلاقة بين الحكومة والرعية إلى جانب المجال العسكري وكانت أهم مظاهر التجديد في الدوله العثمانية هي المراسيم التي اصدرها السلطان العثماني وعرفت باسم (التنظيمات العثمانية).

وعرفت فتره التنظيمات العثمانية بأنها الواقعه بين صدور أو خط مرسوم في ١٨٢٩ وهو خط كلخانه وصدور الدستور العثمانية على يد مدحت باشا ابو الاحرار الاتراك في ١٨٧٦ .

وبين هذين التاريخيين خط هام هو(الخط الهمايوني) في اعقاب حرب القرم (١٨٥٦) وكان ينص على مساواه الرعية في الحقوق والواجبات وفي ادخال الادارات والنظم الاوربيه في مختلف اجزاء الدولة العثمانية ولكن في الوقت الذي كانت فيه حكومة الدولة العثمانية تحاول أن تدخل هذه النظم التجديديه واجهة عدة عقبات حالت دون تحقيق الأهداف من ورائها وهي :-

1- استمرار الضغط العسكري على اجزاء الدولة العثمانية بشكل جعلها تولي المشكله العسكرية اهميه الكثير يشكل عرقك عجلة الاصلاح .

٢ - أن الدول الأوربية الكبرى كانت تواجه الإصلاح إلى النواحي التي تخدم ومصالحها الاستعمارية حتى ولو أخذ ذلك بمستقبل الدولة العثمانية ومن ذلك استخدام القروض عن النواحي الاستهلاكية دون الانتاجية.

٣- في الوقت الذي كانت فيه الدول الاوربيه تنادي بضروره تطبيق المساواة بين مختلف رعيه السلطان العثماني كانت تشير النعرات الطائفيه خاصه في لبنات الامر الذي ادى الى حوادث الدامية في لبنان (١٨٦٠) وفي جده (١٨٥٨) .

ومن المعروف أن الدوله العثمانية منذ حرب القرم (١٨٥٢- ١٨٥٦) قامت بجهود كبيره من أجل تطبيق وتنفيذ قانون الولايات وادخال عليه اصلاحات وقد طبقت فعلاً مجموعة من الاصلاحات على رأسها تنفيذ نظام الاراضي (الطابو) .

بعد ان اصبحت الدولة العثمانية عاجزه عن التطور وتسديد ديونها والسيطرة على البلقات وكان بعض زعماء الانكليز يدعون الى طرد العثمانيين من البلقات باسم الحضاره وباسم المسيحية كما ان انجلترا اشترت اسهم الخديوي في شركة قناة السويس وبدأت تخطط الاحتلال مصر – وكانت بسمارك يرى أن الدول الأوربي يجب أن لا تحارب من اجل اقتسام الولايات العثمانية بل ان تتقاسمها على طاوله المفا – وضات . أن هذه المشاكل الكبرى التي واجهة السلطان عبد الحميد الثاني – الدستور والهزيمة العسكرية – والمذله الدبلماسية في مؤتمر برليت ١٧٧٨ فادى كل هذا إلى أن يفكر السلطان عبدالحميد في أن يتولى بنفسه مهمه انقاد الدوله واعتقد أنه هو القادر على ذلك لا الدستور .

ولقد كانت الدوله العثمانية حينذاك في حاجه الى مثل هذا الحكم الفردي لمواجهة الازمات الكبرى".

ولكن السلطان عبد الحميد أستمر في حكمه المطلق بل سار فيه الى – ابعد المراحل .

كما أنه اعتمد على فكره ساميه في أجل توطيد حكمه المطلق واعنى به فكره (الجامعة الاسلامية، على اعتبار أن الخلافة العباسية التي يدعي العثمانيون وراثتها تعطي للخليفة كل السلطات دون قيد.

واجه السلطان عبد الحميد المشاكل الكثيرة والازمات ومنها مؤتمر برلين وكذلك كانت هنالك ازمات عديده منها .

1- الازمة المالية: التي كادت ان تضع الدولة العثمانية تحت تصرف الدول الكبرى الأوربية لولا اصدار السلطان عبد الحميد المرسوم المعروف باسم مرسوم محرم سنه ١٨٨١ الذي قضى بإنشاء صندوق الدين العثماني في العام الذي اشرف على ماليه الدوله فنظم عمليه تسديد الديون.

٢ – الازمة الارمنية –3 – الازمة الكردية –٤ – الازمة المقدونية5 – الأزمة التونسية واود أشيرات ذكره الجامعة العربية ليس من ابتداع السلطان عبد الحميد وانما هي دعوة كرس لها جمال الدين الافغاني – تهدف الى قيام حكم اسلامي دستوري. آخذ السلطان عبدالحميد يعمل بالمفهوم الفلسفي دون المفهوم الدستوري الديمقراطي ولهذا الغي دستور ١٨٧٦ – هذا التمسك بالاتجاه

الفلسفي دوت الديمقراطي الدستوري خلق قوه معارضه من داخل البلاد نفسها بعضها كان تابع من فكر وتقليد اسلامي عربي وبعضها كان مطمعاً بفكر غربي وبعضها كان شديد الارتباط بالفكر العربي.

القوى المعارضه الدستور

عبد الرحمن الكواكبي: الذي قاوم استبداد عبد الحميد ونادى بقيام خلافه عربية قرشية واخرج كتابيت شهيرين هما طابع الاستبداد وام القرى التوضيح وكشف خطورة الاستبداد وحاول ايضاً جمع المسلمين العرب حول مائدة واحده للتباحث في امر البلاد وأساليب نهضتها.

وظهر نجيب عازوري الذي طالب بخلافه عربيه ولكنه في نفس الوقت ان يدعو الى استقلال العرب وارتباطهم ارتباطاً شديد في أوربا وخاصه فرنسا. لقد كانت الأوضاع العامة في العالم العربي تثير الى انه يواجه فتره دقيقه واجتياحاً استعمارياً في مختلف جوانبه في مصر والسودان وفي الجنوب العربي وشمال إفريقيا وجنوب اليمن ويواجه تصاعد المصالح الاوربيه ويمهد للاستعمار مثل احتكار شركة لينش للملاحة في العراق وتضم اعداد المبشرين في الشام . وكان أن ظهر شعور عام في البلاد العربيه بحيث على اعادة النظر في الحكومة القائمة خاصة وان العلاقه بين العرب والترك منذ القرن السادس عشر كانت تقوم على اساس المشاركة ولكن منذ أواخر القرن التاسع عشر.

ومنذ ظهور مراسيم المساواه في الحقوق والواجبات بدأ العرب يرون انهم ليسوا على قدم المساواة مع الترك.

ولم يكن من اليسير على السلطان عبد الحميد القضاء على هذه المعارضه مع انه سيطر على الصحافة في داخل الولايات العثمانية الآات صحف لبنان ومصر كانت شديده الوطأه عليه فمن لبنان ومصر خرجت قوى المعارضة يشد ازرها في مصر الانكليز وفي لبنان الفرنسيون ، مما ادى إلى حدوث انقلاب الذي وقع على يد رجال جمعية الاتحاد- والترقي – ضد السلطان عبد الحميد ١٩٠٨ فهي جمعيه وان كانت تركيه – الأ انها هدفت أول الأمر إلى أنقاذ الدولة العثمانية كلها عن الرجعية والعمادة العمل بدستور ١٨٧٦. لقد وضع العرب تقتهم في الحكومة(الاتحاديين) ووقف الزعماء العرب امثال رفيق العظيم وياسين الهاشمي. وعزيز علي المصري وعبد الرحمن السيندر سليم الجزائري العظيم ريا موقف التأ التأييد منهم.

ولكن الاتراك الاتحاديين كانوا يخشون من ظهور أغلبيه عربيه في مجلس النواب الجديد . لقد كان الاتحاديين دستوريين ولكنهم كانوا بين الاتراك – بلغ من بعض متطرفي الاتراك ان نادى بأن الدولة اذا اريد لها ان تتقدم فيجب أن تصبح كلها (تركيه) و انه على العرب أن يغادرو لغتهم وهذا ما تعنى به سياسة (التتريك).

فاللغة التركية اصبحت لغه الحاكم في الولايات العربية وكذلك الصحف الرسمية أصبحت تصدر بالتركيه وظهرت في دمشق اتجاهات عربيه مناهضة لتفوق الاتراك في الحكومة الجديده . وفضل العرب عدم رفع المشكله إلى مستوى المواجهة بين عربي وتركي، لانها كانا معرضين للوقوع في قبضه القوى الاستعمارية، وانما التواجيهية (الآخاء العثماني) الداعية إلى تعاون عربي تركي.

الا انه بدأت تظهر افتراءات واعتراضات من قبل الاتراك المتحصين ضد العرب وحاول الاتراك إخراج النائبين العربين (نصيف المؤيد) و (طالب النقيب) ولكنهم فشلوا . فالملاحظ أن الاتراك انتهوا العرب بأنهم اعوان السلطان عبد الحميد وابعدوا الوزراء العرب واحلوا محلهم وزراء متعصبين للتركيه وتضاء الموقف بسبب الجمعيات التي تألفت مثل (المنتدى) التركي كما تألفت جبيعيه الوطن العربي التي شارك فيها الأديب المشهور (ضياجوك الب) الذي يصف لأنه أبو القومية الرسمية فكانت تدعوا هذه الجمعية الى تجمع الاتراك من حدود الصين إلى البلقان .

تأسيس الجمعيات والاحزاب

كانت خيبه امل العرب كبيره في جمعيه الاتحاد والترقي، فتحول العرب عن هذه الجمعية بل اقدموا على خطوات المعارضه هذه الجمعية والتصدي لها ولكل خطوه يقوم بها الاتراك تتعرض لمستقبل العرب ولكيانهم ظهرت ثلاث انواع من الجمعيات والاحزاب كلها تخدم الفكرة العربية :

أ – جمعية سريه مثل (القحطانيه ١٩٠٩) جمعية العهد (١٩١٠)

ب – حزب الحرية والائتلاف في العراق والشام وكان يعمل داخل الدولة العثمانية

ج – حزب الامركزية والاداره العثمانية الذي تأسس ١٩١٢ من انشط الاحزاب العربية كما كان حزب الحرية والائتلاف اول ضربة قوية موجه ضد سياسة الاتحاديين . واصبح هذا الحزب مركزاً للحرية العربية.

د – المنتدى الادبي الذي ضم الطلاب العرب في الاستانه وضم معظم زعماء الحركه العربية من أمثال عبد الكريم الخليل الذي امن بالقضية العربية ورأى أنها لا تحل بالخطيب والاجتماعات وانما بالتربية والتعليم حيث توحيد المناهج بين البلدان العربية .

هـ – الجمعية الإصلاحية البيروتية في بيروت التي تألفت في عام ١٩١٣ وهي تعمل على ترقيه العرب وأضافت الى هذا استخدام المتشارين الاجانب الاصلاح حال الادارات الحكومية. وتتفق مع الجمعيات الاخرى في المطالبة بالحكم الدستوري وان تكون اللغه العربيه لغه تركيه على قدم المساواة مع اللغة التركية

و ظهرت ايضا جمعيات سرية أهمها الجمعية القحطانيه التي أسسها سليم الجزائري وعزيز علي المصري ومع أنها كانا من مؤيدي جرحيه الاتحاد والترقي الا انها تخليا عنهما عندما أحرفت عن أهدافها الأولى ، كذلك شكل عزيز على المصري جمعية عرفت بأسم جمعية العهد وكانت قاصره على الضباط العرب ومع ذلك كانت تعمل من اجل العرب ومن اجل الدوله العثمانية ! كان العرب اكثر بينل واقل تعصباً عند تشكيل جميحياتهم العلنية والسرية بعكس الاتراك ونلاحظ ايضاً ان القيادات التي تزعمت الحركة العربية في اوائل القرن العشرين اصبحت عربيه اسلاميه وكانت قبل هذا عربيه مسيحية، هذا التحول ساعد على نشر الفكر السياسي العربي .

حركة النهضة الفكرية العربية في مصر

وأشير إلى أن هناك عدة عوامل أثرت في حركة النهضة العربية وهي :-

1-حركة الاصلاحات في الدولة العثمانيه – خط شريف مكما هون

2- الثورة الفرنسية . وظهور بعض العلماء.

3- الغزو الفرنسي لمصر .

4- حكم محمد علي باشا والاصلاحات التي قام بها حركات النجدد الدينية – منها الحركة السنوسية – الوهابية الحركة المهدية خلفت هذه الحركات وعي جماهيري لدى الناس، كما تجسدت الحركة الفكرية العربية بظهور بعض العلماء والمفكرين منهم ناصيف اليارجي– وبطرس غالي – عبد الرحمن الكواكبي، جمال الدين الافغانى وغيرهم ومن هؤلاء المفكرين منهم من كان قومي امثال (جمال الدين الافغاني)، وكذلك شبلي شميش التيار التقدمي العثماني بطرست اليازجي) – القومية التاريخيه – وكذلك فرح انطوات الذي ناد بيقضه الامة العربية .

الخاتمة:

يمكن القول لقد كانت هناك تحديات للسلطات العثماني في القرن الثامن عشر منها ظهور الولاه المحليين في الحكم البعض الولايات وضعفت السلطة المركزيه للدوله العثمانية . ثم جاءت الحركة الوهابيه تتحدى سلطه السلطات العثماني الدينية وكذلك ازدياد النفوذ المحلي، على مختلف

المستويات السياسية منها والدينية وقيام ما شبيه السلالات الحاكمة في بعض الولايات العربية، وتكتل سكان الولايات المحليه في الدفاع عن أنفسهم – كل هذا يدل على تقليص النفوذ العثماني في الولايات العربيه و بالتالي على بدء تكوين الشعور بالهوية المحليه وقد تزايد هذا الشعور في القرن التاسع عشر واتخذ صفه القوميه العربيه نظراً لانتشار فكره القومية انذاك . وقد أنتشرت أفكار التحرر التي نادت بها الثورة الفرنسية في الامبراطورية العثمانية وقامت الثورات على العثمانيون في البلقان وكات اليونانيون في طليعه الشعوب التي تحررت عن الحكم العثماني. عمد العثمانيون – ازاء ضغط الدوله الأوربيه عليهم وازدياد قوة وتحدي الولاة المحليين مثل محمد على باشا – الى نشر الاصلاح بالقوة في أمبراطوريتهم وقضى السلطات محمود الثاني في ١٨٢٦ على الانكشارية. الذين شكلوا العقبه الرئيسية في طريق الإصلاح واسس جيشاً حديثاً على الطراز الأوربي. وكانت اصلاحات محمد علي باشا في مصر لها أهميه كبيره في تقويه سلطته وجيشه واحتل بلاد الشام وجزءاً من اسيا الصغرى . وعمد السلاطين العثمانيون إلى أدخال الاصلاح الى نطاق واسع وهو ما عرف في التاريخ العثماني باسم التنظيمات و صدر خط شربت كولكانه في ١٨٣٩ الذي الغى بموجبه الالتزام . ثم تلته خطوط همايونية – أي امبراطوري في ١٨٤٠-١٨٥٦ وكذلك أعلان دستور ١٨٧٦ .

المصادر

1- عبد العزيز نوار – تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق وبيروت١٩٧٧ .
2- علي محمد محمد الصلابي – الدوله العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط – القاهره.
3- أحمد عزت عبد الكريم . دراسات في تاريخ العرب الحديث بيروت١٩٧٠ .
4- ساطع الحصري – البلاد العربية والدولة العثمانية .
5- عبد الكريم وافق . دراسات في تاريخ العرب الحديث – بلاد الشام و مصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت ، (١٦ ١٥ – ١٧٩٨) م .
6-عبد الرحمن الرافعي- تاريخ الحركة القومية وتطوير نظام الحكم في مصر ١٢٧٨ – ١٩٥٨

The Ottoman reforms and their impact on the Arab Renaissance movement" a historical study"

Dr. Iyad Jassim Mohammed Ahmed
General Directorate of Education, Baghdad Al-Karkh / 1
Ministry of Education

Keywords: reforms. Ottoman. Arab countries

Summary:

When you write about a topic related to the Ottomans - we must know that the beginning of modern history begins with the Ottoman expansion in the Arab countries, at the beginning of the sixteenth century, and when we talk about reforms in the Ottoman Empire, we must know that the Ottoman Empire was at the height of its power in the sixteenth century in all The states that controlled it, however, weakened in the eighteenth century. The Arabs of the East accepted Ottoman rule willingly at the beginning. When the Ottoman state weakened, the strength of the local cliques and the ruling markets grew at its expense and took control of the affairs of the Ottoman states. These ruling cliques filled the seventeenth and eighteenth centuries with events. Domestic and external crises.

The Ottoman Empire made great efforts to restore the unity of the state under clear central rule by eliminating those ruling fanaticisms. Just as the Sublime Porte made huge efforts to reorganize the state on the basis of its modernity by introducing Western administrative, economic and social systems into various state facilities, but these efforts and trends were subjected to many setbacks caused by reactionary forces in the Ottoman Empire, and the major countries that were raving that they

were working to adopt However, the Ottoman Empire did not allow the introduction of any reforms unless these reforms were in line with its colonial goals in the provinces of the Ottoman Empire.

These contradictions helped to emerge several reformist philosophies in the second half of the twentieth century in the Ottoman Empire, some of which called for an Islamic university, and some of which were attached to nationalist Turanist ideas. Under the factors of mistrust between Muslims and Christians, signs of the crisis between the Arabs and the nationalist Turks also began to crystallize in the major clash between the Arab movement and the ruling Turkish Union and Progress Association in Istanbul.